التردد ليس من صفات الناجحين

فالناجح لا يتردد ولا يرتبك ولا يغير اتجاهه سريعاً لأن ذلك يضيع عليه الجهد والوقت كالذي يبني ثم يهدم أو كالذي يكتب ثم يمحو ما يكتب، وأكثر الفاشلين سبب فشلهم التبديل والتغيير، فنعرف من دخل بعض الكليات الشرعية فلما درس فصلاً وفصلين ذهب إلى اللغة أو التربية أو الاقتصاد وهكذا حتى تخرج زملاؤه وهو لا يزال متردّداً محبطاً، ومن التجار من تاجر في العقار فلما تحسن دخله وحسن وضعه انقلب إلى تجارة الملابس ثم تحول إلى تجارة المواشي فضاعت أمواله وذهبت خبراته أدراج الرياح، وإلا فلو ثبت لنبت، ومن فتح عليه باب رزق فليلزمه، ومنهم من كان خطيباً ماهراً يخلب الألباب ويأخذ بالقلوب ثم ترك ذلك وشارك في جمعيات خيرية تعاونية أفقدته موهبته وما تميّز به، ومنهم من فتح عليه في العلم فحسن حفظه وفقهه ثم أعرض عن ذلك إلى العبادة وهجر العلم. وهذا التردد والتذبذب عند الجميع هو سبب الفشل والإخفاق، فمن أراد النجاح فليصمد وليواصل وليستمر وليبدع في مجاله الذي خلق له ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ كل مُيسَّر لما خُلق له.

ونصيحتي للآباء أن يتركوا أبناءهم على سجيتهم واختيارهم في دراستهم ووظائفهم ومواهبهم وأعمالهم وتبقى الرقابة على جانب التدين والقيم والأخلاق لأن هذه لا مفاوضة فيها بإجماع العقلاء، إن بعض الآباء يختار لابنه القسم الدراسي الذي يرتاح له هو بغضّ النظر

عن رغبة هذا الابن فيفشل الابن في دراسته لأنه يدرس في تخصص لا يحبه، ويصر بعض الآباء على وظيفة لابنه لا يرغبها الابن فيفشل في وظيفته ويختار الأب زوجة لابنه ويغصب ابنه على حبها والعيش معها فنتج زواجاً فاشلا. إن النجاح مصحوب بالرغبة في الشيء وحب هذا الشيء سواء كان علماً أو مهنة أو وظيفة أو دراسة أو زوجة لازم من لوازم النجاح. أما فرض رغبات الآخرين على شخص آخر فهذا تدمير للموهبة والنجاح، إذاً علينا أن نترك الناس لرغباتهم في تخصصهم وأعمالهم وحرفهم مع مراعاة القيام بأوامر الله واجتناب نواهيه.

زمن الدراهم

صدق الشاعر القائل:

فصاحة سحبان وخط ابن مقلة وحكمة لقمان وزهد ابن أدهم
إذا اجتمعت في المرء والمرء مفلس ونودي عليه لا يباع بدرهم

فإن كنت في شك من ذلك فانظر إلى عصرك، فصاحب المال عندهم موقر مكرم معزز ولو لم يعطهم شيئاً من ماله بينما تجد العلماء والأدباء لا يعبؤ بهم إلا نفر قليل من الناس لما يرجونه من منفعة منهم. فالمال عند الناس وهو الحسب والنسب والعم والخال وصاحب المال إن أكثر الكلام قالوا: فصيح ملهم وإن أكثر السكوت قالوا: حكيم متأمل. وإن لبس الغالي قالوا: أحب إظهار نعمة الله عليه وإن لبس الرث البالي قالوا: زاهد متواضع. أما الفقير فإن تكلم قالوا: مكثر مهذار. وإن سكت قالوا: أخرس أبكم. وإن لبس الجميل قالوا: دعي

أخذ ما ليس له. وإن لبس المرقع قالوا: حشفاً وسوء كيل.

المغني درجة أولى في الفقه

حبذا كتاب المغني في الفقه لابن قدامة فهو الشهد المصفى والعلم الفرد في بابه، فقد عرفته وعرفت غيره فبان فضله وظهرت مزيته فهو عندي المرجع الأول في الفقه بلا منازع وقد خبرت المحلى وهو على فضله فج العبارة فيه شذوذ في الطرح. والتمهيد على شرفه غير مرتب. وفتح الباري له منهج خاص في شرح الحديث، وبقي كتاب الفتيا والفقه المغني مع تقوى صاحبه وذكائه المفرط وسعه علمه وبعده عن النيل من الأئمة والحط على العلماء ثم إنه مرتب مبوب ناصع العبارة عذب الإيراد فجزى الله ابن قدامة خيراً وجعل كتابه له ذخراً.

الأمنية الغالية

لما حصل يوسف عليه السلام على الملك وعلى تعبير الرؤيا واجتماع الشمل بالأهل وبلوغ الغاية في السلطان تاقت نفسه إلى الأمنية والمقصد الأسمى فدعا ربَّه ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ وهي غاية ما يتمناه العاقل الأريب وأقصى ما يريده العبد الراشد الواعي لأن أمر الخاتمة أمر عظيم فهي نتيجة السعي وحصيلة العمر بها يحدد المصير وتعرف العاقبة وليس أمراً سهلاً أن يموت الإنسان مسلماً ويلحق بالصالحين، فقد يدرك الإنسان أمانيه في الدنيا لكنه يموت غير مسلم، وقد ينال منصباً مرموقاً ومالاً وفيراً وزوجة حسناء ودوراً

وقصوراً ولكنه يموت غير مسلم، وقد يحظى الإنسان بشهرة ذائعة وموهبة جياشة وصيتاً ضخماً وحضوراً مذهلاً ولكنه يموت غير مسلم، فإذا مات غير مسلم فلا المال ينفعه ولا المنصب يرفعه ولا الجاه يحميه ولا السلطان ينافح عنه، ولا القرابة تؤويه، ومن هنا كانت أمنية يوسف ومقصده أن يموت مسلماً وأن يلحق بالصالحين، وهي أعظم هواية في عالم الهوايات لأن بعض المنحوسين حظًّا الممسوخين خلقة الغاوين نهجاً لهم هوايات ليس منها الخاتمة الحسنة والعاقبة المحمودة، منهم السخيف التافه اللاهث وراء الفن ومنهم البارد المغفّل المفتون بالكرة ومنهم الأحمق المجنون بالدنيا وهؤلاء أموات غير أحياء وما يشعرون أيّان يبعثون.

آلآن وقد عصيت

أسرفت في الذنوب واعتديت، كذَّبت الرسول وافتريت، ثم أتيت، آلآن وقد عصيت، تجبرت في الأرض وتعاليت، وتكبرت على العباد وتماديت، ثم جئت تقول ياليت يا ليت، آلآن وقد عصيت. جاءك الرسول وما اهتديت، ونهاك عن الطغيان وما انتهيت، ودعاك فأبيت. آلآن وقد عصيت. أريناك الآيات فكأنك ما رأيت، وأسمعناك الخطاب فكأنما ما دريت. آلآن وقد عصيت.

مع القراءة والكتب

* من الكتب ما تأخذ منها أكثر مما تأخذ منك: كالحديث الشريف واللغة والأدب والرقائق والمشوقات والتاريخ، ومنها ما تأخذ منك

أكثر مما تأخذ منها: ككتب الفقه المذهبية وخاصة إذا كدرت بالحواشي المملوءة بكلام الناس من قيل وقال، فإنها مذهبة للعقل في غير جدوى، وكذلك كتب أصول الفقه النظرية أو المنطقية كالمعتمد والمستصفى، وما أنفع الموافقات وأعلام الموقعين.

* والحذر من التكرير في طريقة القراءة في فن واحد، فإنه يذهب الوقت ويعود الحديث عشرات المرات كمن يقرأ مختصر البخاري ثم الصحيح نفسه ثم تيسير الوصول ثم جامع الأصول ثم الجمع بين الصحيحين، فإنه بهذه الطريقة أعاد الحديث على الأقل عشر مرات ولو صرف الجهد في غيرها لكان أولى.

* ليست تقوى الله سبحانه وتعالى حجراً على أحد وعلى صنف، فتجد التقوى في غير مظانها كبعض التجار والعوام والجنود وتجد فقدانها في مظانها ـ وهي المصيبة ـ كطلبة العلم والعلماء والوعاظ، فالله المستعان.

* النقل من الكتب في موضوع واحد فيه فائدة جمع المادة والتسهيل على القارىء، ولكن لا جديد فيه، وأنفع منه استعراض النصوص وإخراج بنات الأفكار، وومضات الأنوار وتدبيج فقه النص.

* الحفظ يجمع شتات المادة ويعزز الذهن بالفوائد ولكن فهم النصوص وتقعيدها على قواعدها الكلية ووضعها على مقاصدها خير من ترديد محفوظ لا يفهم، وفهم العلم خير من حفظه والحفظ وسيلة ليس إلا.

* خير ما يُحفظ كتاب الله فإذا فرغ منه فما استطاع من الحديث وما بعد ذلك فيما استجاد من الشعر الجميل وغير ذلك فهوّن على نفسك،

وأربع على قلبك.

* قراءة حديث المصطفى فن راقي فمن أراد أن يستفيد منه فليأخذ كتاب الحديث وكأنه جالس بين يدي رسول الله ﷺ عن يمينه أبو هريرة وعن يساره جابر بن عبد الله رضي الله عنهم ثم يستمع ما يقال فإن الكلام عربي فصيح ولينسى عنعنة الحسن وتدليس الأعمش فلها وقتها ومجلسها.

* إذا قرأت ترجمة عالم أو زاهد أو رجل فضع قوله على قول محمد ﷺ وفعله على فعله فإن وافق فهو تحصيل حاصل، وإن خالف فخذ هذا القول أو الفعل المخالف بيديك كلتيهما فصُرَّ هذه الأقوال والأفعال ومزقها ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم خذ عصاك وعد إلى بيتك.

* أنفع عبادة وأسهل عبادة وأيسر عبادة ذكر الله عز وجل فترنم في رياضها وترنح في خمائلها وتمش في بساتينها واجعلها شغلك الشاغل وما زاد عليها من النوافل فحسن.

* القراءة الخاطفة هي الإلمام السريع بالكتاب أو بالباب في أقصر وقت وهي مختصرة للوقت مشجعة على الاستفادة وهي ليست قراءة التمكن لكن لها فائدة جمع شتات الموضوع واسترجاع المعلومات.

* من العلم ما يحتاج له مع كل نفس، ومنه ما يحتاج إليه في وقت عن وقت ومنه في اليوم ومنه في الأسبوع وفي الشهر وفي السنة وفي العمر، ومنه ما يختلف من شخص إلى شخص فقد لا يعمل طالب العلم في حياته كلها بأحاديث الولاة والتجار وغيرها ولكنها جيدة في معرفة

الأحكام وفي زيادة العلم وتوضع أبواب العلم على هذه الطريقة.

* ليس عزو الحديث إلى غير البخاري ومسلم تصحيحاً له فالمهم في الحديث معرفة صحته أو معرفة ضعفه وعلة هذا الضعف وليس المهم حفظ من خرجه كأهل السنن والمسانيد وغيرهم.

* كتب الأدب أكثر فائدة وعوداً من غيرها، أعني بكتب الأدب هنا الأدب النبوي الشريف ككتاب الأدب المفرد للبخاري، لو جرد من الأسانيد، فإن الأسانيد مع معرفة درجة الحديث تطويل للطرق وسلب للوقت.

* من فوائد كتب التراجم والأدب والظرف والطرائف مد العقلية التربوية والملكة الاجتماعية برصيد من المعرفة لكثير من مواقف الحياة والأشخاص والمقامات ما نظر إلى كتاب الأذكياء والحمقى والمتطفلين وسير أعلام النبلاء وأعلام القرون وغيرهم حتى سير الفجار الضلال.

* لأن أعتزل وأفيد نفسي خير لي من أن أخالط الناس وأتضرر.

* عِظَم منزلة المسلم وعلو درجته في الجنة لا في الدنيا فليكن هذا مطلبه دائماً.

* لا يخلو كتاب من فائدة، وليس العلم بكثرة الرواية، وانظر ما يلزمك في يومك فاعمله، وخصلتان هما روح الإيمان ووقوده: الذكر والفكر، والزهد: ترك ما لا ينفع في الآخرة، والورع: ترك ما يخشى ضرره، وكفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع، ومخاطبة الناس على قدر عقولهم، والوقوف بين أمرين اضطراب وحيرة والحزم والجزم بشيء بعد الاستخارة والمشاورة.

طه حسين وكتبه

في بداية الطلب كنت أحسن الظن بطه حسين وأسمع كبار الأدباء يثنون على أسلوبه فلما قرأت كتبه بإمعان بان لي أن الرجل مريض القلب عنده لوثه في فكره وفي غدده سم زعاف حتى على ثوابت الدين، وقد ولى الرجل وجهه شطر الثقافة الغربيّة وأحبها وشغف بها ونادى بني قومه لاعتناق الحضارة الغربية والانسلاخ من الشرق وتراثه ثم إن الرجل يخفي في نفسه ما الله مبديه من أفكار تسعى لهدم ميراث الأمة المباركة وتركتها الربانيّة، ومن أراد أن يعرفه على حقيقته فليطالع ما كتبه الأديب الفذ العبقري مصطفى صادق الرافعي ليرى ضرر هذا الرجل ومدى ما سوَّلت له نفسه الأمّارة على دينه وأمته. فاحذر ما كتبه وخذ الحيطة مما سطّره وتنبّه إلى تراثه فإن السم في ذاك العسل. وقى الله الجيل شر الدجاجيل.

وصايا عامة

لا تحرص على الشهرة فإن الرأس كثير الأوجاع وفي الاشتهار نهاية الأخطار، ومن كان بينه وبين ربه معرفة قلبية استغنى بها عن كل معرفة.
ورأينا من يتكلّف في أقواله وأفعاله ليكون مقبولاً عند الناس فلا يقع له ذلك لأن مفاتيح القبول في السماء، ولقد تغيرت أحوال الناس فلا مواساة ولا تراحم إلا في النادر فأصبحت المصالح تحكمهم والمنافع تربطهم حتى أنك تبحث عمن يواسيك ولو بكلمة فتعجز أن تجده فغالب من يتحبب لك إنما هو لحاجة في نفس يعقوب فإذا قضاه مرَّ

كأنك لا تعرفه ولا يعرفك وإذا تحببت أنت لأحد شك فيك، فتحبب إلى علام الغيوب وتقرب إلى مقلّب القلُوب يكفك من عزوّا ومن هانوا، وإياك وتناول الفضول وهي الزائدة عن الحاجة فإنها قاتلة كزيادة الكلام والخلطة والطعام والمنام واللباس ونحوها وما رأيت كالوسط وهو طعام بين طعامين ولباس بين لباسين وبيت بين بيتين ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾.

النفق المظلم

عرفتُ شباباً تنسَّكوا وحفظوا القرآن وتعلمّوا السنة وأصبح على وجه الواحد منهم نضرة النعيم بسبب العبادة والذكر والخشوع ثم مالوا إلى السياسة وحديث الساعة والقيل والقال والقضايا الدولية والاقتصادية بحجة العلم بالواقع فذهب ذاك البريق وأُنسي القرآن واندثر علم السنة لديهم وكثر كلامهم واضطربت أقوالهم وضاعت أوقاتهم واشتغلوا بما لا يعني وتكاسلوا عن العبادة وهجروا قيام الليل. وهذه الملاحظة لاحظها غيري من طلبة العلم وهم كثير.

القاموس الأثيم

يا أيها المسلم الذي علمه الوحي شريف الخطاب وحسن القول، أزل من قاموسك اللغوي كلمات الشتم والسب واللعن والطعن، نظف لسانك من اللغو، أكرم فمك عن قول الزور، قدِّر الملائكة الذين يكتبون حديثك ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ إن العبد الصالح

كالنخلة اليانعة المتهدلة بالرطب الشهي الهنيء يرميها الطفل بالحجر فتساقط عليه رطباً جنيًّا. فيا أيها المسلم أخرج من حياتك كلمات الإثم والبهت والزور واللغو ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ واجعل مكانها حسن القول وجميل اللفظ وأطيب الحديث ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ فإياك أعني ونفسي، أريد أن تبتعد عن القول الإثم فإن الكلمة قد تشعل حربا وتزيد كربا وتغضب ربًّا وتجرح قلباً، وكم من رأس سقط بكلمة وكم من عنق قطعت لأجل عبارة وكم من زوجة طلقت لسوء جملة. فاتقوا الله عباد الله وقولوا قولا سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم.

نعوذ بالله من سوء الخُلُق

رجل جعله الله عذاباً على أهله وجيرانه، شرس الخلق جهم المحيا عابس الوجه صلفا عجولا طائشاً ضرب زوجته مرات كثيرة وفرّ منه بعض أبنائه وشكاه جيرانه وبكوا من سوء معاملته، إذا دخل بيته صمت أهله وخاف أطفاله لا يمزح ولا يضحك ولا يتبسم، الكلمة تثيره، يده أسرع شيء إلى الضرب ولسانه أعجل شيء للسب لا يُعرف له صديق، عاش الحياة مكدراً منغصاً ثائراً غاضباً سفيهاً، هو عذاب على نفسه وأهله وجيرانه. فاحذر عمل هذا. واعتبروا يا أولي الأبصار.

رفقا بالقوارير

رحم الله الإمام أحمد يقول: صاحبت زوجتي أم عبد الله أربعين سنة ما اختلفت معها في كلمة. وهذا غاية الخلق وكمال حسن العشرة، فهل من

عاقل يحسن التعامل مع زوجته وأخته وابنته، إن النساء ضعيفات، وفي الحديث: «اتقوا الله في النساء فإنهن عوان عندكم». واعلم أن الكلمة النابية تحطم المرأة فيكاد ينصدع قلبها من البكاء. فرفقاً بالقوارير وصبراً على ما يصدر منهن وكل بني آدم خطّاء وعليك بالاحتمال فإنما هي أيام قليلة لنرتحل من هذه الدار الموحشة، واجعل مكان الكلمة القاسية جملة لينة ومكان العبوس بسمة، ففي الحديث: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي» وعليك بالثناء على ما تراه من حسن وجميل، فاشكر على ترتيب المنزل واشكر على حسن إعداد الطعام وتجافى عن الأخطاء وتجاهل الغلطات وتغافل عن الزلات لتصفو لك الحياة ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾.

الفارغون

أكثر الناس ما عندهم خير من الآخرة: لهو ولغو ولعب وغرور، شيوخ طعنوا في السبعين وهم أطفال في اهتماماتهم: سهر على الغيبة ونقل للنميمة وقتل للأعمار، شباب في أبهى حلل الصبا: هائمون ضائعون غارقون في الملذات، تجار يأكلون الربا كأكلهم الخبز وليس في قائمة الإنفاق عندهم زكاة المال ولا صلة الرحم ولا بناء المساجد ولا إطعام الجائع، موظفون لا يدركون أمانة المسئولية وثقل التبعة، وكثير من طلبة العلم في حسد وجدل وتتبع للعثرات وفرح بالزلات واغتباط بنكبات الغير، فليس عليهم من آثار العلم إلا براويز لشهادات علمية معلقة ﴿تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ فيا أيها الأريب كن حلسا من أحلاس بيتك واعتزل الناس إلا من خير وتهيأ لسفر بعيد ليس بعده رجعة وزادك قليل

وطريقك طويل وحملك ثقيل وأنت غافل عن الرحيل.

إن البقر تشابه علينا

كل طائفة من أهل البدع تضفي ألقاب الكمال على رموزها وتخلع حلل المدح على أعلامها: فالرافضة عندهم الكاشاني والكليني والطبرسي والمعاملي هم آيات الله في الأرض بحور للعلوم ومحيطات للمعارف، والمعتزلة يرون الزمخشري وعبد الجبار والبلخي نجوماً سائرة وأقماراً سافرة، والجهمية أشغلونا بمناقب محمد بن الجهم وبشر المريسي وأحمد بن أبي دؤاد وهؤلاء في معزل عن الحق الصراح فما ندري من نصدق ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾، ولكن الحمد لله عندنا ميزان في دقة الشعرة توزن به الشعيرة وهو الوحي المعصوم كتابا وسنة ونحن عندنا عملة ليست زائفة وبضاعة ليست مزجاة علم أعلامنا وسعود أيامنا محمد ﷺ، ثم يتلوه الزمرة المباركة الطاهرة من أئمة أهل السنة والجماعة. فيا أهل البدع دعونا من هذا الغثيان والسخف فإن من تهوك في المنهج وانحرف عن الجادة وهجر الحق وخدع الأمة وزاغ عن الصراط ليس بأهل أن نسمع منه ولا كرامة ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ المبتدع فاقد الصواب مظلم النظر مشوه المعرفة ممسوخ الفطرة.

التوفيق من الله

قد يكون العالم عادي الذكاء، لكنه رزق همة ودأبا وصبراً على

التحصيل ومواصلة على الطلب فوصل، وكم رأينا من بارع في الذكاء لكنه عاطل من الفضل خامل في همته.

بعضهم يطلب العلم فإذا تميز عن أقرانه أو حصل على منصب بعلمه ترك الطلب وأخلد إلى الراحة ورضي بالدون، وهذه ضحالة الهمة.

إليك يا طالب العلم

* العلم أوسع من أن يحاط به فلينظر فيما لابد منه ومن كل علم أجوده والأهم فالأهم، والتوسع في الأمور خير وبركة وتسديد، وفي العزلة تفهم للواقع وصيد للفوائد ونبأ عجيب فإن من بقي مع الناس دائماً سج فكره وسف عمله ورضي بالواقع.
* الداعية له مكانته فكلما فقدته العيون اشتاقت له القلوب فينبغي له أن يخرج وقت الحاجة لا غير.
* ربَّ ذنب أحدث توبة ومنع عجباً وأدخل رقة وانكساراً، والمواهب موزعة حتى لا تكفر النعم.
* شرف الوقت بقيمته عند الله تعالى لا عند الناس:

في ازدياد العلم إرغام العدا وجمال العلم إصلاح العمل

* من لا يحفظ القرآن ولا يكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الشأن.
* من المحبرة إلى المقبرة ـ والفائدة تؤخذ ممن قالها فربَّ دُرَّة في مزبلة.

وقيل لابن المبارك إلى متى تكتب الحديث؟ قال: (لعل الكلمة

التي تنفعني ما كتبتها بعد).

* وقول الأندلسي في تعظيم الحديث:

فـلا تضـع فـي سـوى تقييـد شـاردة عمـرا يفـوتـك بيـن اللحـظ والنفـس

* من خرج إلى الناس بما عنده من علم وترك الزيادة دائماً هي بداية النهاية.

* يقولون إن من علمته بلسانك لا يتعلم أيداً، إذ لابد من الفعل مع القول ثم لابد من التكرير والملازمة والإعادة والمداومة فإن كلمة المرة ليست مستقرة.

* ساعة في السحر، وساعة في الصباح، وساعة في المساء جلسات روحية تفيض سكينة وأمناً وبركة ونوراً وفتحاً وتوفيقاً وحديث: «اغدوا وروحوا وشيء من الدلجة والقصد القصد تبلغوا».

* هل يكون طالب علم من ليس له ورد بالليل.

* افعل الأروح لقلبك وإذا خالطت العوام فتغافل عن سقطاتهم.

* إياك ثم إياك من تجريح الأشخاص أو الهيئات أو بعض الجهات ولا تتكلم إلا بخير.

* لا يكون المكثر إماماً قط، وإكثار الكلام للنساء والأطفال.

واجعـل رجـاءك دون يـأسـك جُنَّـة حتـى تـزول بهمـك الأوقـات

واستـر عـن الجلسـاء بثـك إنمـا جلسـاؤك الحسـاد والشمـات

الصباح.. الصباح

يقول ﷺ: «بارك الله لأمتي في بكورها»، فأعظم الوقت بركة وأجمله بعد الفجر، فمن أراد حفظاً أو مطالعة أو كتابة أو سفراً أو

تجارة فعليه بالبكور صباحاً، حيث توزع الأرزاق وتصفو الأذهان وتدب الحياة في الكائنات وتسرح الطيور وتهب النسائم. وقد جربت وقت الصباح فوجدته أحسن لحظات النهار والليل، صفاء ذهن وتوقد خاطر وبركة في العطاء وفتح من رب الأرض والسماء، فأحسن الكتابة ما كان صباحاً وأجود الحفظ وأتقن العمل ما كان صباحاً، هذا إذا لم يسبقه سهر أو يصاحبه مرض، وللضرورات أحكامها، فبادر نهارك في أوله وخذ اليوم بصباحه وإن كنت في علم أو عبادة أو تجارة أو سفر لتنال بركة دعوة الرسول ﷺ.

العُجْب يقصم الظهر

وجدتُ أنّ النفس تعجبُ إذا رأت صاحبها سُدِّد في عمل أو أحسن في قول أو أبدع في صنعة فإذا أراد الله بالعبد خيراً ابتلاه بتقصير يقذع نفسه ويذهب كبره ويجتث شجرة العجب منه فيكون الخطأ والتقصير رحمة في حقه. وكم رأينا من حافظ للعلم سريع البديهة ذلق اللسان رأى لهذه المواهب من نفسه فأعجبته وتاه بها وتباهى، فسلب التقوى والإخلاص، وعند بعض العباد من رؤية أنفسهم وتزكيتهم لها وازدراؤهم لسواهم ما يلفت النظر ويفوق الوصف فكم من عابد إذا ذكر العصاة تأوه وهزّ رأسه وكاد لا يصدّق مع العلم أننا كلنا ذاك الرجل ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ وربَّ عاص ندم وتاب وأقلع وأناب وأنت أيها العابد معجب تائه مزك لنفسك فأنت في ذنب أعظم من ذنبه ثم أليست المنّة لله وحده فهو الذي هدى واجتبى وعلَّم

فليس لنا إلا السكوت على خجل والاستحياء من نقص العمل ويكفينا خطأ كثرة ما يُنعم علينا مع تقصيرنا في الشكر وفتورنا عن الذكر وتباطؤنا في القيام بالأمر. . فرحماك يارب.

خـاطـرة

عجبتُ لبعض طلبة العلم يجمع الكتب وينسخ ويُصور، ويتلهف على كل كتاب ليس عنده، وهو لم يضبط شيئاً من العلم وقراءته قليلة، وإدراكه ضعيف، لكنه مغرم بالجمع فقط.

يا ضَيْعَة الأعمار تمضي سبهللاً

زرت بعض كبار الأُدباء المشار إليهم بالبنان، فرأيته مستغرق التفكير في كلمة غريبة وحشيّة، يبحث عن أصل تركيبها واسم وادٍ من الأودية اندثر، وقد قارب هذا الأديب الكبير الثمانين، فعجبتُ كيف صرف عمره في هذا الفضول الذي أشغله عن كتاب الله والعلم النافع، والعمل الصالح، وعلمتُ أن السداد والاختيار توفيق من الله عزّ وجل.

الغنى غنى النفس

لا يغرك ما تراه من مظاهر الأغنياء في الملابس والمراكب والمساكن فإن غصص المال أضعاف لذته، وإنما الغني خادم لماله، فإن تعامل بالربا ومنع الزكاة والحقوق الواجبة فقد تمت خسارته. وفضول المال أشغال وهموم وغموم. وأحسن العيش الكفاف. فلا تغبط أهل الأموال فإن قلوبهم

مشتتة ممزقة وراء أموالهم، وما أعلم أسعد من رجل عنده كفاف وهو مستقيم على أمر الله ورزقه الله القناعة فإنه سليم من الغموم في الغالب خفيف الظهر من الحساب غدا وهو أهنأ عيشاً من الأثرياء فهو يأكل بعد جوع فيجد للأكل طعماً ويشرب بعد ظمأ فيجد للماء لذة وينام بعد كد فيحصل له راحة وهو في أمن وسكينة يقول ﷺ: «من أصبح آمناً في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها». أما الأغنياء في الغالب فلا يجدون لذة الطعام والشراب والمنام لكثرة تعبهم وأوقاتهم مشغولة بمتابعة أموالهم وهم خائفون على هذا المال من هبوط الأسعار والجوائح، فيا سعادة من وجد لقمة حلالاً وسلم من الدَّين ورضي بما قسمه الله له:

ملك كسرى يغني عنه كسرة وعن البحر اجتزاء بالوشل

اللهم أغننا بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك.

خاطرة

لا أشرف ولا أعز ولا أسعد من الصدق، إنه تاج على رأس صاحبه فتجد الصادق قويًّا شجاعاً واثقاً من نفسه آمناً مطمئناً مهاباً محبوباً وهذا الكنز العظيم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾.

الفتيا مزلّة

لا تحرص على الفتيا فإنها مزلة، وقد كان علماء السلف يفرون منها ويخافون عاقبتها لتقواهم وخوفهم من ربهم، تعرض على مالك

أربعون مسألة فلا يجيب إلا في ثمان والباقي بلا أدري. وكان الصحابة يتدافعون الفتيا ومنهم من كان يحمر وجهه خوفاً إذا سئل فخلف من بعدهم خلف أحبوا الفتيا طلباً للمنزلة والرفعة والتصدر عند العامة مع قلة البضاعة وضحالة التقوى وشح الورع، وهذا من الخذلان. وهل من العقل إنقاذ غيرك بإهلاك نفسك؟ فهل من تقوى تعصم من هذا الاندفاع في الفتيا.

لا تتشاغل بالتوافه

أكثر المشاكل في البيوت من التوافه وغالب ما يحصل بين الزوجين لسبب بسيط تافه كعدم غسل الملابس أو تطييب البيت أو ترتيب المنزل فيستمر الشجار حتى ربما يحصل الفراق. ومن الحكمة عند مثل هذه الأمور الصمت من أحد الزوجين لأن المزايدة في الكلام والحرص على الرد من أحد الطرفين تأجج الفتنة وتزيد المشكلة اشتعالا. فيا أيها الرجل صمتاً صمتاً حتى تضع الحرب أوزارها، أو خروجاً من المنزل حتى يسكن الغضب وتهدأ العاصفة، وليتنا نعطي المسألة حجمها فلا نضخم المسائل ونبالغ في الأحداث وما أحسن ذكر الله عند دخول المنزل والبسمة عند اللقاء ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾.

خاطرة

من لم يتألم لم يعرف طعم الراحة، ومن لم يجع لم يعرف ذوق

الشبع، ومن لم يمرض لا يدري بنعمة الصحة، ومن لم يسجن لا يدرك روعة الحرية والانطلاق، والمصائب عبر.

فتح الباري لابن حجر

هذا الكتاب بين الشروحات كالغرة في وجه الفرس، اسمه الفتح لأنه فتح من الله عزّ جلّ، لم يأت بعده مثله لأنه لا هجرة بعد الفتح، بلغ الغاية في الضبط والإتقان، والتحقيق والتحرير، فلا عاش الحسود، مئات المراجع، آلاف المسائل، سيل لا ينقطع من الأفكار، والآثار، أمواج تتدافع من المعاني والعبر، يقدمه مؤلفه لكل محب للسنة في شجاعة، فلا نامت أعين الجبناء، هذا الكتاب روحاني الأداء، لأنه مملوء بالصلاة والسلام على الإمام الأعظم ﷺ، وهو جذاب لأنه ينتقل بك من روض إلى روض، ومن خميلة إلى خميلة، تبويب للبخاري يسر الناظرين، وسند كنجوم السماء، فارجع البصر هل ترى من فطور، وألفاظ الحبيب ﷺ التي هي أكاليل الكلام وتيجان الألفاظ، ثم تحليل دقيق للحافظ، جمع فيه بين الرواية والدراية، والنقل والعقل، في ذكاء عجيب، وقدرة فائقة ومهارة بارعة، ولله در الهمم، ماذا أنتجت وكيف أبدعت، ثم خلف يأخذون عرض هذا الأدنى ويتجافون عن مجرد قراءة هذا التراث، والاطلاع على كنوز هذه التركة، ثم ينسبون أنفسهم للعلم والعلماء، ألا ما أبعد الهوة، وما أكثر الفرق، فيا طلبة العلم ويا أتباع الرسول ﷺ دونكم الفتح، دنا قطافه وطاب ثمره صنوان وغير صنوان، يسقى بماء واحد، أعوذ بالله من

خسة الهمم التي تثاقلت بأصحابها فلا يقرءون ولا يفهمون ولا يحفظون ولا يعلمون، ولكن يأكلون ويشربون وينامون ويسرحون ويمرحون.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾.

الزيـــادة

زيادة العلم بالتعلم، والعقل بالتجارب، والدين بالعبادة، والخلق بالتربية، والمال بالتدبير والاقتصاد، والأصدقاء بحسن الخلق، والأعداء بالكِبْر، والأمراض بكثرة الأكل، وجودة الرأي بالتثبت، وقوة القلب بالشدائد، وحسن الذكر بإصلاح الباطن.

القَبُول

من الناس من يتخاشع في مشيته ويظهر نسكه ويطأطىء رأسه يريد صيد قلوب الناس والمنزلة عندهم، فلا يزداد إلا بعداً ولا يجد حبًّا ولا قبولاً، لأن القلوب بيد علام الغيوب، فعامله وحده وأصدق معه ليقبل بقلوب العباد إليك. ومن هم الناس حتى تحرص على مدحهم هذا الحرص؟ هل هم إلا ذباب طماع وسحاب صيف، ودخان نار، الكلمة ترضيهم وتغضبهم، يقبلون إذا أقبلت الدنيا، ويدبرون إذا أدبرت، وإذا وثبت عليك بما لا تشتهي وثبوا معها، فيا إخوة عاملوا الله ودعوا الناس ودعونا من النسك الظاهري مع فساد القلوب، بل لا صلاح حتى نصلح الظاهر والباطن ليكون الظاهر طاهراً والباطن بلا باطل. والنيات النيات فإنها أصل كل عمل.